بسم الله الرحمن الرحيم

تذكرة في أهمية حسن الخلق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين أما بعد :

إن من أعظم أبواب الخير التي من دخلها، وسلكها فإنه يحسن عاجله ويحصن آجله ألا هو حسن الخلق هذا الباب من أعظم أبواب الخير التي لا ينبغي لمسلم أن يقصر فيها .

وإذا كان هذا مطلوب من كل مسلم فإنه مطلوب من كل طالب علم من باب أولىٰ وعلىٰ وجه التأكيد .

فإن حسن الخلق هدي النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤-٥]

وقال أنس رضي الله عنه : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً

.

فالذي يروم التأسي به دونك هذا الباب الجليل

كان النبي صلىٰ الله عليه يدعوا الله تعالىٰ أن يهديه إلىٰ أحسنها فكان يقول في قيام بالليل : اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت .

وإذا كنت تريد الجنة فعليك بحسن الخلق فإنه سبيلها وطريقها

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أكثر ما يلج به الإنسان الجنّة : تقوىٰ الله وحسن الخلق"

وحسن الخلق يرفع العبد لأعلىٰ درجات الجنة

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : أنا زعيم ببيت في أعلىٰ الجنة لمن حسن خلقه .

وقال صلىٰ الله عليه وسلم: "إن أحبكم الي وأقربكم مني يوم القيامة (أحاسنكم) أخلاقًا.

وروي عن أم الدرداء، قالت: بات أبو الدرداء رضي الله عنه الليلة يصلي فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي حتىٰ أصبح فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق قال: يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتىٰ يدخله حسن خلقه الجنة ويسوء خلقه حتىٰ يدخله سوء خلقه النار.

ورئي بعضُ السّلف في المنام، فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك، رُفع في الجنة بحسن خلقه.

وإذا أحببت أن تكون من الأبرار فعليك بحسن لخلق

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : البر حسن الخلق

وإذا أحببت أن تكون من المتقين فعليك بحسن الخلق

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : إن المرء ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامي بالهواجر.

وإذا أحببت أن تأتي بأفضل الأعمال فعليك بحسن الخلق

روي عن أبي العلاء بن الشخير رضي الله، عنه أن رجلا، أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن شماله فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: حسن الخلق

وإذا أردت خصلة لا يضرك ما عزل عنك بعدها فعليك بحسن الخلق

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أربع خلال إذا أعطيتهن فلا يضرك ما عزل عنك من الدنيا: حسن خليقة، وعفاف طعمة، وصدق حديث، وحفظ أمانة.

وإذا أردت أن تنعم علىٰ من حولك فعليك بحسن الخلق

روي عن أبي حازم رحمه الله أنه قال: السيّءُ الخُلُق أشقىٰ الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتىٰ إنه ليدخُلُ بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقًا منه، وحتىٰ إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو علىٰ الجدار، حتىٰ إن قِطَّه ليفرّ منه.

وإذا أردت أن تكون أحب عند الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة فعليك بحسن الخلق

قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بُنَيَّ ! لِتكُن كَلمتكَ طيبةً، ووجهك منبسطًا، تكن أحبَّ إلىٰ الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة.

وقال بعض السلف: الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب، والسيء الخلق أجنبي عند أهله.

وإذا أردت أن تصل إلىٰ أسمىٰ المطالب فعليك بحسن الخلق

قال عبد الله بن طاووس رحمه الله : قال لي أبي: اعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن خلقه.

ولذلك كان السلف يقولون : نحن إلىٰ قليلٍ مِن الأدبِ أَحْوَجُ منَّا إلىٰ كثيرٍ مِن الحديثِ.

قلت : بل كان السلف رضوان الله عليه يضمنون كتبهم العقدية مسائل الأخلاق والتزكية والآداب

لذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: من لم ير أن كلامه من عمله، وأن خلقه من دينه: هلك وهو لا يشعر.

وقال عكرمة رحمه الله: لكل شيء أساس وأساس الإسلام: الخلق الحسن .

وقال عبد الرحمن رحمه الله: وليتق الرجل دناءة الأخلاق كما يتقي الحرام.

وهذا مسلك حسن وفيه فوائد عظيمة ، منها :

١ – فيه تنبيه علىٰ أن تزكية النفس ثمرة الاعتقاد الصحيح ، وفي هذا ترجمة عملية لما يعتقده أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول وعمل ،

وفيه بيان واضح بأن أهل السنة والجماعة هم المتبعون حقـًا للسلف الصالح ؛ لأنهم أهل التزكية المحضة ، وهو واضح لمن عرف سيرهم.

٢- ذكر هذا الباب فيه بيان لمسلك أهل السنة والجماعة في هذه المسائل المعتمد علىٰ الكتاب والسنة ومنهج السلف فيتميز عن مسلك غيرهم ممن يتناول هذا الباب .

وقصد مخالفة أهل البدع أمر يحرص عليه أهل السنة والجماعة فيوضحون في مسائل الاعتقاد المسائل التي يخالف فيها أهل السنة والجماعة أهل البدع.

قس علىٰ هذا مسائل الفقه التي تذكر في مسائل الاعتقاد كالمسح علىٰ الخفين والجمع بين الصلاتين.

٣- التزام أهل السنة بأمور التزكية والأخلاق فيه جمع لكلمتهم وتحقيق الألفة بينهم ، وهذا من أسباب قوتهم وظهورِهم ، وظهورُهم مقصود للشرع "لا تزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين..."

وفي هذا أيضا تحقيق للولاء بين المسلمين ، والولاء والبراء مبحث أصيل عند أهل السنة والجماعة في كتب الاعتقاد .

٤- العناية بالتزكية والأخلاق والسلوك هي بتوفيق الله سد منيع أمام الانحراف عن جادة الاعتقاد الصحيح ؛ فإن فئاما من أهل الضلال والبدعة والانحراف يسلكون في إضلال المسلمين مسلك إضعاف هذه الجوانب فيهم ، فمن خلال إضعاف التزكية والأخلاق وجرِّهم إلىٰ الشهوات يبثون شبهاتهم ، وقد قيل : 'الشهوة صابون الشبهة ' فهي تسهل مرور الشبهة إلىٰ القلوب .

وفي هذا العصر أضحىٰ هذا الأمر ظاهرا .

٥- العناية بهذا الجانب سبب من أسباب إقبال الناس علىٰ هذا الاعتقاد

وسبب من أسباب نجاح دعوة أهل السنة ، فأهل السنة أهل دعوة إلىٰ الاعتقاد الصحيح وهذا يحتاج معه إلىٰ كثير من السلوك الحسن والأخلاق الفاضلة ؛ فإن الضد يؤدي إلىٰ الضد .

يظن بعض الناس أن الصلابة في السنة والاتباع لمنهج السلف الصالح ملازم لشراسة الخلق وبذاءة اللسان !

وحاشا وكلا ، بل كلما كان الإنسان أصلب في السنة وأعظم اتباعا لمنهج السلف الصالح كان أكثر الناس أخذا بمحاسن الأخلاق ومعالي الأمور واتباعا للرفق ، حتىٰ وإن هجر أو زجر أو رد فإنه لا يمكن أن يتخلىٰ عن آدابه ورفقه وأخلاقه ؛ لأن المتبع للسلف الصالح حقاً أحرص الناس علىٰ هداية الخلق ، لذا هو يبذل ما يستطيع في سبيل هدايتهم ، فهو أعلم بالحق وأرحم بالخلق

والمتبع لمنهج السلف الصالح حقا : هداية الناس أحب إليه من ضلالهم ؛ لذا هو يحزن عند وقوع المسلم في الخطأ

٦- التنبيه علىٰ من تأخذه الحماسة فيقع بجهله في مخالفة الآداب والرفق وعدم الحكمة ؛ فإن هذا قد يصد عن سبيل الله وعن منهج السلف الصالح.

لذلك فمن أراد أن يكون من أتباع النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ نهج سلفنا الصالح فعليه أن يعتني بحسن الخلق فيجعلها مادة يدرسها ويطبقها فيتعلم أمهات الأخلاق كالكرم والشجاعة والصدق والعفة والصبر

كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء علىٰ خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب وحسن السمت.

وقال ابن بطة: سمعت النجاد يقول: سمعت أبا بكر بن المطوعي يقول: اختلفت إلىٰ أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند علىٰ أولاده، فما كتبت عنه حديثا واحدا، إنما كنت أنظر إلىٰ هديه وأخلاقه.

وقال أبو بكر المروذي : كان أبو عبد الله رحمه الله لا يجهل، وإن جهل عليه حلم واحتمل ويقول: يكفي الله، ولم يكن بالحقود ولا العجول، كثير التواضع، حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ، وكان يحب في الله ويبغض في الله، وإذا كان أمر من الدين اشتد له غضبه، وكان يحتمل الأذىٰ من الجيران .

وقال حماد بن زيد: ما رأيت رجلًا قطّ أشدّ تبسمًا في وجوه الرجال من أيوب السختياني رحمه الله.

وعن عون بن عبد الله رحمه الله؛ أنه كان يقول: المؤمن موالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف.

فعليك بسير هؤلاء الأخيار الأبرار وعلىٰ رأسهم إمام الموحدين نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم ثم أصحابه ومن جاء بعدهم من أئمة التابعين وأعلام الهدىٰ بعدهم

فانظر في سيرهم وهديهم وسمتهم فتعلمها واقتدي بها واحمل نفسك عليها وروض نفسك عليها، فإنه ثمة فرق بين أن تعلم الخلق وأن تتخلق به فكونك تعرف العفة والشجاعة والكرم شيء وكونك كريمًا بالفعل وعفيفًا بالفعل شيء آخر فالعمل والتطبيق يحتاج منك إلىٰ مدارسة ومجاهدة ومراقبة ومصابرة فإن الارتقاء لهذه المعالي والأخذ بهذه الصفات والسجايا الكريمة يحتاج إلىٰ مجاهدة ولولا ذلك لكان الناس كلهم بلغوا هذه الدرجة (لولا المشقة ساد الناس كلهم)

فالأمر يحتاج إلىٰ ترويض وقمع لأهواء النفوس وترك للدعة والكسل والراحة، فالمقام مقام رفيع لكل لمسلم ولطالب العلم من باب أولىٰ وهو أحوج إليه من كثير من العلم .